ALTRALANG Journal
e-ISSN: 2710-8619 p-ISSN: 2710-7922
Volume 5 Issue 3 / December 2023 pp. 463-471
DOI: https://doi.org/10.52919/altralang.v5i3.381

فنُّ الترشيح بين التصوير البياني والتحسين البديعي

Yahia CHAIB **شعيب يحي***
جامعة سعيدة د. مولاي الطاهر، الجزائر
yahia.chaib@univ-saida.dz

استلم: 2023/02/15، **مقبول:** 2023/12/30، **نشر:** 2023/12/31

The Art of Strengthening between Figure of Speech and Embellishments

ABSTRACT: *This paper discusses the term "strengthening" and its adverbs in figures of speech and the embellishments. The research tried to study the strengthening in all the figures of speech and not only in the metaphor. He also tried to study the changes in its meanings in the field of verbal embellishments because its meanings were undergoing some change in this field, which led to a multiplicity of concepts. and the approach adopted in the completion of this research was descriptive and analytical.*

KEYWORDS: Strengthening, figure of speech, embellishments, Rhetorical innovation, rhetoric.

الملخص: يتَحَدَّثُ هذا البحثُ عن مُصطلح الترشيح وأحواله في الصور البيانية والمحسّنات البديعية. فقد حاول البحثُ أنْ يطرُقَ الترشيحَ في كُلّ الصور البيانية وليس فقط في الاستعارة كما هو الشأن في كتب البلاغة. كما حاوَلَ في مجال المحسِّنات البديعية أنْ يرصُدَ التغيُّرات التي طَرَأت على دلالته، إذ لم تَثبُتْ دلالته في بعض المحسّنات ونَجَمَ عن ذلك تعدُّدٌ في المفاهيم. وقد كان المنهجُ المعتَمَدُ في إنجاز هذا البحث وَصفيا تحليليا.

الكلمات المفتاحية: الترشيح، الصورة البيانية، المحسّنات، ابتكار بلاغي، البلاغة.

* المؤلف المراسل : **شعيب يحي**، yahia.chaib@univ-saida.dz

ALTRALAG Journal / © 2023 The Authors. Published by the University of Oran 2 Mohamed Ben Ahmed, Algeria.
This is an open access article under the CC BY license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

ALTRALANG Journal
Volume 5 Issue 3 / December 2023

1. مقدمة:

من الإشكالات التي اعتَرضَت تطوُّرَ الدرسِ البلاغيّ كثرةُ مُصطلحاته واختلافُها بين البلاغيين. وكذا فَوْضَى التقسيمات التي طالَتْ كثيرا من مباحثه. ومن هذه المصطلحات التي عَرَفَتْ تحوُّلا في الدلالة وقصورا في التقسيم مُصطلح (الترشيح) الذي ظهر في مجالَيْن اثنين من مجالات علم البلاغة، وهما: علم البيان، وعلم البديع.

ففي جانب البيان نجد الترشيح شاملا لكلّ الصور البيانية، غير أنّ كتب البلاغة لا تكاد تذكره إلا كقسم من أقسام التصوير الاستعاري. وفي جانب البديع نجده مصاحبا لبعض المحسّنات البديعية، إلا أنّه لم يثبُت على دلالة واحدة، بل طَرَأَت عليه بعض التغييرات الدلالية. مما قد يُسبِّبُ بعضَ الحيرة والغموض لدارس البلاغة العربية.

ومما سبق نستطيعُ أنْ نصوغَ إشكالية بحثنا فيما يلي: ما معنى الترشيح في الصور البيانية، والترشيح في المحسّنات البديعية؟، وسنعتمد للإجابة عنها على المنهج الوصفي التحليلي وبعض التمثيلات اليسيرة. وذلك وَفق العناصر التالية:

- مفهوم الترشيح في البلاغة العربية.
- الترشيح في الصور البيانية.
- الترشيح في المحسنات البديعية.

2. مفهوم الترشيح في البلاغة العربية:

2. 1 لغة:

جاء في لسان العرب: "وأَصل التَّرْشيح: التَّرْبِيَةُ والتَّهْيِئَةُ؛ يُقَالُ: رُشِّحَ فلانٌ للإِمارة أَي هُيِّئَ لَهَا" (ابن منظور، 1414هـ. ج1 ص711). ويُضيف صاحبُ تاج العروس: "والتَّرْشِيحُ: التَّرْبِيَةُ والتَّهْيِئَةُ للشَّيْءِ ... ورشَّحَت الأُمُّ ولَدَهَا باللَّبَن القليلِ إِذا جَعَلَتْه فِي فِيهِ شَيْئا بعدَ شيْءٍ حتّى يَقْوى على المصّ، وَهُوَ التَّرْشيح" (الزَّبيدي، دت، ج6 ص394).

فقوله (حتى يَقْوَى) يُشير إلى معنى التقوية الذي هو من لوازم الترشيح. فالتهيئة للشيء تستلزم تقويةً له قبل حصوله، وترشيحُ الأمِّ ولَدَها باللبن يستلزم تقويةً للولد. فالدلالة اللغوية للترشيح تدور حول التهيئة والتقوية، وهو ما يرفد الدلالة الاصطلاحية كما سنرى.

2. 2 اصطلاحا:

يُعَدُّ ابنُ أبي الإصبع المصري (ت 654هـ) مِنْ أوائل مَنْ تحدَّثَ عن هذا المصطلح (يُنظر أحمد مطلوب، 1983م. ج1 ص132)، وذلك في كِتَابَيْه: تحرير التحبير، وبديع القرآن.

وقد جَعَلَه لا يأتي إلَّا بِصُحبة فَنٍّ بلاغي آخر، فالترشيحُ فنٌّ بلاغي يأتي دائما مُرافقا لفنٍّ بلاغيٍّ آخر فيأتي مع الاستعارة ومع التورية ومع الطباق وغير ذلك. ولمَّا كان لا يلزمُ فنًّا بعينه ذَكَرَهُ ابنُ أبي الإصبع قِسْمًا منفردًا وَحْدَهُ مِنْ فنون البلاغة في الكِتابَيْن.

وقد يُوحي تعريفُه للترشيح أنَّه يخُصُّه بضروب البديع فقط أو يجعله شَرْطًا لتحقُّق الفنّ البديعيّ، إذ يقول في تحرير التحبير: "وهو أنْ يُؤتى بكَلِمَةٍ لا تصلُحُ لِضَرْبٍ من المحاسن حتى يُؤتى بلفظةٍ تُؤَهِّلُها لذلك" (ابن أبي الإصبع المصري، 1963م. ص271). ويقول في بديع القرآن: "وهو أنْ يُريد المتكلِّمُ ضَرْبًا من ضروب البديع فلا يَتَأَتَّى له الإتيان به مُجرَّدًا حتى يأتي بشَيْءٍ في الكلام لِيُرَشِّحَه لِمَجيء ذلك الضَّرْب" (ابن أبي الإصبع المصري، 1957م. ص103).

غيرَ أنَّ نَظْرةً في أمثلته وشروحه التي ذكرها بعد ذلك تَجْعَلُنا نفهم أنّه لا يقصد تخصيص الترشيح بالبديع دون غيره، لأَنَّهُ جَعَل الاستعارة والتشبيه مما قد يلحَقُهُ الترشيح، كما جعل التورية قد تأتي مع الترشيح وقد تأتي دونه. فهو إذًا لا يقصِدُ جَعْلَ الترشيحِ شَرْطًا لوجود الفنّ البلاغي الذي يلحقه، يقول: "وقد تقدَّمَ في باب الاستعارة الترشيح للاستعارة، وفي باب الطباق الترشيح للمطابقة، وكثيرا من أبواب البديع يدخُلُه الترشيح" (ابن أبي الإصبع المصري، 1957م. ص104).

ALTRALANG Journal
Volume 5 Issue 3 / December 2023

كما فرَّقَ ابنُ أبي الإصبع بين الترشيح والتورية، عند مَنْ يجعلون الترشيحَ خاصًّا بها فقط أو يجعلونهما شيئا واحدا، فذكر ثلاثة أوجُه هي كما يلي (ابن أبي الإصبع، 1963م. ص271):

- أحدها أنَّ مِنَ التورية ما لا يحتاجُ إلى ترشيحٍ وهي التورية المَحْضَة.
- والثاني أنَّ الترشيحَ لا يخصُّ التورية دون بقيَّة الأبواب، بل يعُمُّ الاستعارة والطباق وغيرهما من كثيرٍ من الأبواب.
- والثالث أنَّ لفظةَ الترشيح في الكلام المُوَرَّى غيرُ لفظة التورية.

وهكذا يُمكِننا بعدما سَبَقَ صياغَةَ تعريفٍ أكثر دِقَّة للترشيح يُراعِي ما استقرَّتْ عليه مدلولاتُ المصطلحات البلاغية، فنقول: الترشيحُ هو أنْ تُذْكَرَ كَلِمَةٌ صُحْبَةَ صُورةٍ بيانيةٍ أو مُحسِّنٍ بديعيٍّ لِغَرَضِ تهيئته وتَقْوِيَته.

3. الترشيح في الصور البيانية:

يُذكر مُصطلحُ الترشيح في أقسام الاستعارة دون غيرها من الصور البيانية، إذ قَسَّمَ البلاغيون الاستعارة لاعتباراتٍ متعدِّدَة إلى تقسيماتٍ مُتنوِّعَة، كان منها تقسيمُهُم الاستعارة بحسب ذكر الملائِمات أو عدم ذِكرها إلى ثلاثة أقسام: المُرَشَّحَة، المجرَّدة، المطلقة.

فصار لفظُ (المرشَّحَة) مُرتبطاً بصورة الاستعارة مما يوهم أنه خاصٌّ بها وحدها، وفي الحقيقة إنَّ ظاهرة الترشيح لا توجد في الاستعارة فقط، بل توجد في غيرها من الصور البيانية الأخرى كالتشبيه والمجاز المرسل والمجاز العقلي.

وقد أشار بعضُ البلاغيين أحيانا إلى وجود الترشيح في الصور الأخرى، غير أنَّ تسميةَ أحَدِ أقسام الاستعارة بـ (المرشَّحَة) هو الذي جعل الذهنَ لا يكاد يُخرِج الترشيحَ عن التصوير الاستعاري. وسنتحدَّثُ أوَّلاً عن الترشيح في الصورة الاستعارية، ثم بعد ذلك عن ترشيح الصور البيانية الأخرى:

3. 1 الترشيح الاستعاري:

مِنْ تقسيماتِ الاستعارة التي يذكرها البلاغيون أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، كما نجده عند الخطيب القزويني (ت 739هـ) (يُنظر الخطيب القزويني، 2003م. ص228): أحدها: المُرَشَّحَة، وهي التي قُرِنَت بما يُلائم المستعار منه. وثانيها: المجرَّدة، وهي التي قُرِنَت بما يُلائم المستعار له. وثالثها: المطلقة، وهي التي لم تقترن بصفةٍ ولا تفريعِ كلام.

3. 1. 1 الاستعارة المرشَّحة:

وهي "ما قُرِنَ بما يُلائمُ المستعار منه" (التفتازاني، 1992م. ج4 ص130). أيْ وهي استعارة قُرِنَتْ بما يُلائم المستعار منه، على أنْ يكون هذا الملائم المذكور زيادة على القرينة، إذْ لا تُعَدُّ قرينة المكنية ترشيحا.

وتُسَمَّى المرشَّحَة من الترشيح وهو التقوية. فسُمِّيَت الاستعارة التي ذُكر فيها ما يُلائمُ المستعار منه مُرَشَّحَة لأنها مَبنيَّة على تَناسِي التشبيه حتى كأنَّ الموجود في نفس الأمر هو المشبَّه به دون المشبَّه. فإذا ذُكر ما يُلائم المشبّه به دون المشبّه كان ذلك مُوجِباً لقُوَّة ذلك المبنى فَتَقوى الاستعارة بتقوى مبناها لوقوعها على الوجه الأكمل، أخْذًا من قولك رشَّحْت الصبيَّ إذا رَبَّيْته باللبن قليلا قليلا حتى يَقوى على المصّ (الدسوقي، 1992م. ج4 ص130).

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]. فإنه استُعِيرَ الاشتراءُ للاستبدال والاختيار، ثمّ رُشِّحَ بما يُلائم الاشتراء من الربح والتجارة. أيْ: إنَّ الاشتراءَ مُستعارٌ مِن استبدالِ مَالٍ بآخر إلى استبدالِ الحقّ بالباطل واختياره عليه، بدليل تَعَلُّقِهِ بالضلالة والهدى بجامعِ تَرْك ما هو أخَصُّ بالتارك للاتّصال بِبَدَلِهِ المرغوب عند التارك. ولَمَّا استُعِيرَ الاشتراءُ للاستبدال المذكور فَرَّعَ عليه ما يُلائِمُ الشراء مِنْ نفي الربح في التجارة، ونَفْيُه يُلائم المشبَّه به، وذلك مما يَزيدُ في قُوَّة تناسي التشبيه حتى كأنَّ المشبَّه به هو الموجود. فكان ترشيحاً أيْ تقويةً للاستعارة، فتكون الاستعارة مُرشَّحة (المغربي، 1992م. ج4 ص131).

3. 1. 2 الاستعارة المجرَّدة:

وهي "ما قُرِنَ بما يُلائم المستعار له" (التفتازاني، 1992م، ج4 ص128). وتُسَمَّى مجرَّدة لتجرُّدها عمَّا يُقَوّيها مِنْ إطلاق أو ترشيح، لأنَّ المستعارَ له صار بذكر مُلائِمِهِ بعيدا مِنْ دَعوى الاتِّحاد. كقول الشاعر (يُنظر ديوان كُثيّر عزّة، 1971م. ص288):

غَمْرُ الرداءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقابُ المَالِ

فالرداءُ وهو الثوب مُستعار للعطاء، ووجه الشبه صَوْن كُلٍّ منهما صاحِبَهُ عَمَّا يَكره. فالثوبُ يصونُ ما يُلْقَى عليه مِنْ كُلّ ما يُكره حِسًّا، والعطاءُ يَصُون عِرْضَ صاحِبِه. ومُطلَقُ الصَّوْن عمَّا يُكرَه مُشتَرَكٌ بينهما. وقد أضافَ إليه الغَمْر الملائم للعطاء (المستعار له)، ومُلاءَمة الغَمْر للعطاء صحيحة مع كَوْن الغَمْر في الأصل مجازا (يُنظر المغربي، 1992م، ج4 ص12).

فالاقترانُ بما يُناسبُ المستعار له أو المستعار منه إنما يُراد ما يُلائمه سواء أكانت ملاءمته له حقيقة أم مجازا. لأنَّ (الغَمْر) حقيقة في الماء الكثير، فإطلاقُهُ على الكثير من المعروف وتجريدُه لاستعارة الرداء للمعروف تجريدٌ بما يُلائِمُ المستعار له مجازاً لا حقيقة (السّبكي، 1992م. ج4 ص131).

3. 1. 3 الاستعارة المطلقة:

وهي "ما لم تقترِنْ بصفةٍ ولا تفريع" (التفتازاني، 1992م، ج4 ص127). وتُسَمَّى مُطلقة لإطلاقها عن وجود الملائمات. فهي الاستعارة التي لم تقترِنْ بصفةٍ تُناسِبُ أَحَدَ الطرَفَيْن، ولا بتفريع كلامٍ يُناسب ويُلائم أحَدَ الطرَفَيْن. "والفرقُ بين الصفة والتفريع أنَّ المُلائمَ إنْ كان من بقيَّة الكلام الذي فيه الاستعارة فهو صفة، وإنْ كانَ كلاماً مُستَقِلًّا جِيءَ بِهِ بعد ذلك الكلامِ الذي فيه الاستعارةُ مَبنيًّا عليه.. فهو تفريعٌ سواءٌ كان بحرف التفريع أو لا" (الدسوقي، 1992م، ج4 ص127).

3. 2 ترشيح الصور البيانية الأخرى:

رأينا أنَّ كُتبَ البلاغة تذكر مُصطلحَ الترشيح في صورة الاستعارة فقط دون غيرها من الصور البيانية، رغمَ أنَّ الترشيحَ قد يلحَقُ أيضًا بالتشبيه والمجاز المرسل والمجاز العقلي، غير أنَّ البلاغيين لم يُخصِّصوا أقساما خاصة بترشيح الصور البيانية الأخرى كما فَعَلُوا مع الاستعارة. وكان الأحرى بهم أن يفعَلوا ليزول كثيرٌ من الالتباس الذي قد يحصُل في تحليل بعض العبارات الأدبية.

وقد ذكر ابنُ أبي الإصبع أنَّ الترشيحَ قد يقع في التشبيه، وذلك في قوله:

"وأمَّا ترشيحُ التشبيه فكَقَوْلِ النابغة الذُّبياني:

إذا اسْتُنْزِلوا عَنْهُنَّ للطَّعْنِ أرقلُوا إلى الموتِ إرقالَ الجِمالِ المصَاعِبِ"

(ابن أبي الإصبع، 1963م. ص274).

والإرقالُ: ضَرْبٌ من السَيْر. والمصاعب جمع مصعب: وهو الفحل المتَّخذ للفحلة.

الشاعرُ يصفُ قوْمًا بالشجاعة في الحرب، فشَبَّه سَيْرَ القوم بإرقالِ الجِمال المصاعب.

المشبَّه: سَيْرُ القوم. والمشبَّه به: إرقالُ الجمال المصاعب. فالتشبيه بليغ.

والملاحَظ أنَّ الشاعر ألحَقَ الإرقال وهو من مُلائمات المشبَّه به (الجِمال) بالمشبَّه (القوم)، وبَدَل أن يقول (ساروا) قال (أرقلوا).

فلفظ (أرقلوا) - عِنْدَ ابْنِ أَبِي الإصبع- هو ترشيحٌ لتشبيه (سير القوم) بـ (إرقال الجمال).

كما ذَكَرَ الدسوقي (ت 1230ه) في باب الاستعارة التخييلية كلامًا صريحا عن كَوْنِ الترشيحِ ليس خاصًّا بالاستعارة. يقول: "والحاصلُ أنَّ الترشيحَ لا يختصُّ بالاستعارة التصريحية، بل يكون للتشبيه، ويكون للمجاز المرسل، وللمجاز العقلي، ويكون للمكني عنها بعد وجود قرينتها التي هي التخييلية" (الدسوقي، 1992م، ص157).

ثم يذكر الدسوقي تعريفا عامًّا لترشيح الصور البيانية فيقول: "فضابِطُ الترشيح أنْ يُذكَرَ ما يُلائمُ المشبَّهَ به أو المتجوَّزَ عنه أو الأصلَ الذي حَقُّ الإِسْنادِ أنْ يكُونَ له. ففي الاستعارة والمجاز المرسل يُعتبر بعد قرينتهما، وفي التشبيه والمجاز العقلي يُعتبر مُطلقا" (الدسوقي، 1992م، ص157).

وهذا تعريف واضح وصريح بأنَّ الترشيح يشمَل كل الصور البيانية، وكان على مَنْ جاء بعد الدسوقي من البلاغيين أنْ يتَّخِذوا مِنْ هذا الكلام أساسًا لإضافة فَصْلٍ خاصٍّ بترشيح كُلِّ صورةٍ على حِدَة، ولا يقصُرُوا الترشيح على الاستعارة فحسب.

وفيما يلي سنُحاول أنْ نطرُقَ نموذجًا للترشيح في كُلٍّ من: التشبيه، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي.

3. 2. 1 الترشيح في التشبيه:

وتعريفه كما ذُكر سابقا هو: أنْ يُذكَرَ ما يُلائمُ المشبَّهَ به.

ومِنْ نماذجه بيتُ النابغة الذبياني السابق الذي مَثَّلَ به ابنُ أبي الإصبع. وكذلك قولهم (أظفارُ المنية الشبيهة بالسبع أَهْلَكَتْ فلانا). وهذا المثال يَعُدُّه السكاكي (ت 626هـ) من الاستعارة التخييلية التي انْفَصَلَتْ عن المكنية (يُنظر السكاكي، 2000م. ص487، وص497)، وهو يخالفُ قولَ الجمهور الذين يرون عدم الانفكاك بينهما مُطلقا. ولذلك كان هذا المثال عند الجمهور مِنْ ترشيح التشبيه، لأنَّ الأظفار في مثال (أظفار المنية الشبيهة بالسبع) ترشيحٌ للتشبيه لا تخييل.

المشبَّه: المنية. المشبَّه به: السبع. ولفظ (الأظفار) من ملائمات المشبّه به (السبع)، وذِكْرُهُ هو ترشيحٌ للتشبيه بين (المنية) و(السبع).

ومثله قول الشاعر (البيت للمنازي، يُنظر ابن حجّة الحموي، 2005م، ج3 ص92):

نَزَلْنا دَوْحَه فَحَنا عَلَينا حُنُوَّ المرضعات على الفطيم

إنَّ الشاعر ذكر تشبيها بين طرفين (حنوّ البستان وحنوّ المرضعات) وذكر الفعل (حنا) وهو من ملائمات المشبَّه به مُلْحَقًا بالمشبَّه، وهذا ترشيحٌ للتشبيه.

3. 2. 2 الترشيح في المجاز المرسل:

ونستطيعُ أنْ نصوغَ تعريفَهُ بالشكل التالي: هو أنْ يُذكَرَ ما يُلائمُ اللفظ المتجوَّز، بعد أنْ تُستَوْفى القرينة.

ومِنْ نماذجِهِ قولُهُ صَلَّى الله عليه وسلَّم لأزواجه الطاهرات: "أَسْرَعُكُنَّ لُحُوقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا" (ابن حَجَر العسقلاني، 1379هـ. ج3 ص287)، فإنَّ (اليد) مجازٌ مُرسل عن النعمة لصدورها عن اليد، وقوله (أطولكُنَّ) ترشيح لذلك المجاز.

وجَعْلُ (أَطولكنَّ) مأخوذاً من الطُّول وهو ضدُّ القِصَر ليناسب اليد الأصلية، فيكون ترشيحا يُؤدِّي إلى خُلُوّ الكلام عن الإخبار بكَثرة الجود المقصود، اللهمَّ إلا أنْ يُقال إنه استُعير الطُّول للاتِّساع في العطاء وكثرته فيكُون ترشيحا باعتبار أصله، لِمَا تقرَّرَ مِنْ أنَّ الترشيحَ يجوز إبقاؤه على حقيقته ولا يُقصد منه إلا التقوية، ويجوز استعارته لملائم المعنى المجازي المراد من اللفظ (حاشية الدسوقي، 1992م، ص157).

3. 2. 3 الترشيح في المجاز العقلي:

ونستطيعُ أنْ نصوغَ تعريفه بالشكل التالي: هو أنْ يُذكَرَ ما يُلائمُ الأصلَ الذي حَقُّ الإِسْنادِ أنْ يكُونَ له.

ومن نماذجه قولُ الشاعر (يُنظر البيت: عبد القاهر الجرجاني، 2001م. ص26):

أَخَذْنَا بأطرافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المطِيِّ الأَبَاطِحُ

فإنه بعدما شَبَّهَ السَّيْرَ بالسَّيَلَان وعَبَّرَ به عنه، أَسْنَدَهُ إلى الأباطح جمع أبطح، وهو المكانُ المتَّسِع، الذي فيه دقاق الحصى، إسنادا مجازيا، وأعناقُ المطيّ مُناسب لمَنْ ثَبَتَ له السَّيْر حقيقةً وهو القَوْم، فهو ترشيحٌ للمَجاز العقلي (يُنظر الدسوقي، 1992م، ص157).

4. الترشيح في المحسنات البديعية:

في علمِ البديع أَخَذَ فنُّ الترشيح حيّزاً خاصّا به كموضوع مُستقلّ، وقد ذكره كثيرٌ من أصحابِ البديع في بديعيّاتهم. وَلَعَلَّ أَوَّلَ مَن سَبَقَ بذكره -كما أشرنا سابقًا- هو ابن أبي الإصبع (يُنظر ابن أبي الإصبع، 1963م، ص271). وجعله كما رأينا مُلازمًا لفنون بديعية أخرى، كالطباق والتورية.

وفيما يلي سَنَعْرِضُ لِبَعْضِ هذه الفنونِ التي قَدْ يَلْحَقُها الترشيح.

4. 1 ترشيح الطباق:

ونستطيع تعريفَهُ بقولنا: هو أنْ يُؤتى بكَلِمَةٍ تُهيِّئُ لأنْ يَصْلُحَ وقوعُ الطباق مع كلمةٍ أخرى.

وذلك كَقَوْلِ الشاعر (يُنظر شرح ديوان المتنبي، 1986م. ج4 ص143):

وخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ يَا جَنَّتِي، لَظَنَنْتِ فيهِ جَهَنَّما

فإنَّ لفظة (يا جَنَّتي) رَشَّحَتْ لفظة (جهنَّم) للطباق، ولو قال مكانَها (يا مُنيَتي) لم يكُنْ في البيت طباق. أيْ: جاءَ بلفظِ (يا جنّتي) تمهيداً وتهيئةً لتَصِحَّ المطابقة بين (جهنّم) وبينها (يُنظر ابن أبي الإصبع، 1963م، ص272).

وترشيح الطباق بهذا المعنى وَضَعَه البلاغيون القُدامى كابن أبي الإصبع، وقد تابعه ابن حجَّة الحموي في خزانة الأدب عند حديثه عن فنّ الترشيح، غير أنَّ ابن حجَّة حين تحدَّثَ عن فنّ الطباق أورد في آخره شَرْطاً جماليا للطباق، فقال: "إنّ المطابقة إذا أتى بها الناظمُ مُجَرَّدَةً ليس تحتها كبير أمر، ونهاية ذلك أنْ تطابق الضدّ بالضدّ، وهو شيء سَهْل، اللهمَّ إلَّا أنْ يترشَّحَ بنوعٍ من أنواع البديع، يُشاركه في البهجة والرونق" (ابن حجّة الحموي، 2005م، ج2 ص78).

فجعل ابنُ حجَّة اجتماعَ المطابقة بغيرها من أنواع البديع ترشيحاً لها يزيدها بهجة ورونقا، غير أنّه ذكر لفظ (يترشَّح) في كلامه دون أنْ يجعله مصطلحا لهذا الضرب الذي يجتمع فيه الطباق بغيره.

ويبدو أنه جاء بعده مَنْ قرأ كلامه وقَرَّرَ أنْ يُطلِقَ على ظاهرة اجتماع الطباق بلونٍ بلاغيّ آخر اسمَ: ترشيح الطباق. وَعَرَّفَ ترشيحَ الطباق بقوله: "أنْ يوجَدَ بجانبِ التضادّ بين المعنَيَيْن صورةٌ أُخرى مِنْ صُوَرِ البديع أو لَوْن من ألوان البلاغة، فَيَتَقَوَّى الطباق بذلك، ويَكتَسي طَلاوَةً وبهاء، ويزداد المعنى وضوحا وبياناً" (بسيوني، 1998م. ص150). و(يُنظر مطلوب، والبصير، 1999م. ص442).

وهكذا نجد أنَّ مُصطلح (ترشيح الطباق) قد أَخَذَ مَنْحًى دلاليّا آخر غير الذي رُسِم أوَّلًا. فبعدما كان ترشيح الطباق هو (أنْ يُؤتى بكَلِمَةٍ تُهيِّئُ لأنْ يَصْلُحَ وقوعُ الطباق مع كلمةٍ أخرى) صار يُطلق أيضاً على (اجتماع الطباق بلوْنٍ بلاغيّ آخر).

ومِنْ أمثلته التي ذكروها قولُهُ تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: 73]، فقد اجتَمَعَ في الآية الطباق واللفّ والنشر.

4. 2 ترشيح التورية:

ونستطيعُ تعريفه بقولنا: هو أنْ يُؤتى بكَلِمَةٍ تُهيِّئُ لأنْ يَصْلُحَ وقوعُ التورية في كلمةٍ أخرى.

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42]. فإنَّ لفظة (ربّك) رَشَّحَتْ لفظة (ربّه) لِأَنْ يكون تورية، إذ يحتمَل أنْ يُراد بها الإله سُبحانه وتعالى، وأنْ يُراد بها الملك. ولو وَقَعَ الاقتصار على قوله (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) دون قوله (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) لَمْ تدُلّ لفظة (ربّه) إلا على الإله سبحانه فحسب. لكنْ لمَّا تَقَدَّمَتْ لفظة (ربّك) وهي لا تحتمل إلا الملك صلحت لفظة (ربّه) للمعنَيَيْن (يُنظر ابن أبي الإصبع، 1957م، ص104).

ومثلُه قولُ الشاعر (ديوان التهامي، 1982م. ص308):

وَإِذَا رَجَوْتَ المسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارِ

ALTRALANG Journal
Volume 5 Issue 3 / December 2023

فلفظ (الشفير) يُرشِّحُ لفظ (الرجاء) للتورية برجاء البئر وهو ناحيتها. ولولا ذكر لفظ (الشفير) ما كان في لفظ (الرجاء) تورية، ولكان مِنْ (رجوت) بمعنى ضدّ اليأس فقط، لقوله أوّلًا (وإذا رجوت المستحيل) (ابن معصوم المدني، 1969م. ج6 ص17).

وترشيحُ التورية بهذا المعنى وَضَعَهُ بعضُ البلاغيين القُدامى كابن أبي الإصبع، غير أنَّ البعض الآخر (الحموي، 2005م، ج4 ص85)، وكذا مَنْ تلاهُمْ وجاء بعدهم إلى زمننا أطلَقُوا اسماً آخر على هذا النوع من التورية هو: التورية المهيَّأة، وعَرَّفُوهَا بقولهم: "هي التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظٍ قبلَها أو بعدَها" (الهاشمي، 1999م. ص300).

فصار اسمُ (التورية المهيَّأة) عندهم يُطلق على هذا النوع الذي سمَّاه القُدامى (المرشَّحة).

أمّا مُصطلح (التورية المرشَّحة) عندهم فصار يُطلق على نوعٍ آخر لا يبعُد هو أيضا عن المعنى اللُّغوي للترشيح. فالتورية المرشَّحة "هي التي اقترَنَتْ بما يُلائمُ المعنى القريب، وسُمِّيَتْ بذلك لتقويتها به لأنَّ القريب غير مراد فكأنّه ضعيف فإذا ذُكر لازمهُ تَقَوَّى به" (الهاشمي، 1999م. ص300). أو باختصار "هي التي يُذكر فيها لازمُ المُوَرَّى به" (المراغي، 1993م. ص328). وذلك كقول الشاعر (البيت أورده بعض المصادر، يُنظر السكاكي، 2000م، ص537):

حملناهمُ طُرًّا على الدُّهْمِ بعدما خَلَعْنا عليهِمْ بالطِّعَانِ مَلابِسا

فالمعنى القريب للدُّهم الخيول السود، وهو ليس بمراد، والمعنى البعيد القيود من الحديد وهو المراد، ورشّح التورية بذكر (حَمَلناهم) المناسب للمعنى القريب.

5. خاتمة:

في ختام هذا البحث نستطيع أنْ نُوجِزَ أهمَّ نتائجه في النقاط التالية:

- الترشيحُ فنٌّ بلاغي يأتي دائما مُرافقا لفنٍّ بلاغيٍّ آخر فيأتي مع الاستعارة ومع التورية ومع الطباق وغير ذلك. ولمَّا كان لا يلزمُ فنًّا بعينه ذَكَرَهُ ابنُ أبي الإصبع قِسْمًا منفردًا وَحْدَهُ مِنْ فنون البلاغة.
- يُعدُّ ابنُ أبي الأصبع مِنْ أوائل مَنْ تَعَرَّض للترشيح، وتعريفه له قد يُوحي أنَّه يخُصُّه بضروب البديع فقط أو يجعله شَرْطًا لتحقُّق الفنّ البديعيّ. غير أنَّ ابنَ أبي الإصبع جَعَل الاستعارة والتشبيه مما قد يلحَقُهُ الترشيح، كما جعل التورية قد تأتي مع الترشيح وقد تأتي دونه.
- يُمكِننا اقتراح تعريفٍ أكثر دِقَّة للترشيح يُراعِي ما استقرَّتْ عليه مدلولاتُ المصطلحات البلاغية، فنقول: الترشيحُ هو أنْ تُذْكَرَ كَلِمَةٌ صُحْبَةَ صُورةٍ بيانيةٍ أو مُحسِّنٍ بديعيٍّ لِغَرَضِ تَقْوِيَته وَدَعْمِه.
- يُذكر مُصطلحُ الترشيح في أقسام الاستعارة دون غيرها من الصور البيانية، وفي الحقيقة إنَّ ظاهرة الترشيح لا توجد في الاستعارة فقط، بل توجد في غيرها من الصور البيانية الأخرى كالتشبيه والمجاز المرسل والمجاز العقلي.
- ضابِطُ الترشيح في هذه الصور البيانية أنْ يُذكَرَ ما يُلائمُ المشبَّهَ به أو اللفظَ المتجوَّزَ أو الأصلَ الذي حَقُّ الإِسْنادِ أنْ يكُونَ له. وفي الاستعارة والمجاز المرسل يُعتبر بعد قرينتهما، وفي التشبيه والمجاز العقلي يُعتبر مُطلقا.
- يُذكَرُ الترشيحُ في محسِّناتِ البديع كفنٍّ يُصَاحبُ الطباق والتورية.
- عُرف ترشيح الطباق في البداية بكونه: (أنْ يُؤتى بكَلِمَةٍ لا تصلُحُ لِضَرْبٍ من المحاسن حتى يُؤتى بلفظةٍ تُؤَهِّلُها لذلك). ثمّ تَحَوَّل مفهوم ترشيح الطباق بعدها إلى: (اجتماع الطباق بلونٍ بلاغيّ آخر).
- وعُرف ترشيح التورية في البداية هو الآخر بكونه (أنْ يُؤتى بكَلِمَةٍ لا تصلُحُ لِضَرْبٍ من المحاسن حتى يُؤتى بلفظةٍ تُؤَهِّلُها لذلك). ثم تحوّل هو أيضا إلى التورية (التي اقترَنَتْ بما يُلائمُ المعنى القريب، أو التي التي يُذكر فيها لازمُ المُوَرَّى به).

6. قائمة المراجع:

- Al-Qur'an Al-Kareem
- Basyuni Abdul Fattah Fayyud, 'Ilm Al-Badi' Dirasah Tarikhiyah wa Fanniyyah li Usul Al-Balaghah wa Masa'il Al-Badi', Mu'assasat Al-Mukhtar lil-Nashr wal-Tawzi', Al-Qahira, Ṭ.2, 1418H, 1998M.
- Al-Tafasani, Sa'd al-Din, Mukhtasar Sa'd al-Din Al-Tafasani 'ala Takhiss al-Miftah, Min Kutub Sharuh al-Takhiss, Al-Juz' al-Rabi', Dar Al-Hadi, Beirut, Ṭ.4, 1412H, 1992M.
- Al-Jurjani, Abdul Qahir, Asrar Al-Balaghah, Tahqiq Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Ṭ.1, 1422H, 2001M.
- Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmed bin Ali Abu Al-Fadl, Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari, Edited by Muhammad Fuad Abdul Baqi, Supervised and Authenticated by Mahb al-Din Al-Khatib, Dar Al-Ma'arif, Beirut, 1379H.
- Ibn Hujjah Al-Hamwi, Abu Bakr bin Ali, Khazinat Al-Adab wa Ghayat Al-Arib, Tahqiq Dā Kawkab Diyab, Dar Sader, Beirut, Ṭ.2, 1425H, 2005M.
- Al-Dusuqi, Muhammad bin Ahmad bin 'Arfah, Hashiyat Al-Dusuqi 'ala Sharh al-Saad, Min Kutub Sharuh al-Takhiss, Al-Juz' al-Rabi', Dar Al-Hadi, Beirut, Ṭ.4, 1412H, 1992M.
- Al-Zabidi, Abu Al-Fayd Murtada Muhammad bin Muhammad bin Abd al-Razzaq Al-Husayni, Taj Al-Arus min Jawahir Al-Qamus, Majmu'ah min al-Muhqqiqin, Dar Al-Huda.
- Al-Sabbaki, Baha' al-Din, 'Arus Al-Afrahh fi Sharh Takhiss Al-Miftah, Min Kutub Sharuh al-Takhiss, Al-Juz' al-Rabi', Dar Al-Hadi, Beirut, Ṭ.4, 1412H, 1992M.
- Al-Sakkaki, Abu Ya'qub Yusuf bin Muhammad, Muftah Al-Ulum, Tahqiq Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Ṭ.1, 1420H, 2000M.
- Al-Qazwini, Al-Khatib, Al-Izdah fi 'Ulum Al-Balaghah al-Ma'ani wal-Bayan wal-Badi', Wa'da Hawashihi Ibrahim Shams al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Ṭ.1, 2003M.
- Qalqalah, Abdul Aziz, Al-Balaghah al-Istilahiyyah, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Al-Qahira, Ṭ.3, 1412H, 1992M.
- Al-Maraghi, Ahmad Mustafa, 'Ulum Al-Balaghah - Al-Bayan wal-Ma'ani wal-Badi', Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Ṭ.3, 1414H, 1993M.
- Al-Masri, Ibn Abi al-Isba', Badi' Al-Quran, Tahqiq Hafni Muhammad Sharaf, Nahdat Misr, Egypt, ḌṬ, 1957M.
- Tahreer al-Tahbeer fi Sina'at al-Shi'r wa al-Nathr wa Bayan I'jaz al-Quran, Tahqiq Hafni Muhammad Sharaf, Lajnat Ihya' al-Turath al-Islami, Al-Majlis al-A'la li al-Shu'un al-Islamiyah, Al-Jumhuriyyah al-Arabiyyah al-Muttahidah, ḌṬ, 1383H, 1963M.
- Matlub, Ahmed, Mu'jam al-Mustalahat al-Balaghiyyah wa Tawwuraha, Matba'at al-Majma' al-Ilmi al-Iraqi, Iraq, 1403H, 1983M.
- Matlub Ahmed, Wal-Basir Kamel Hasan, Al-Balaghah wal-Tatbiq, Wizarat al-Ta'lim al-Ali wal-Buhuth al-Ilmiyyah, Iraq, Ṭ.2, 1420H, 1999M.
- Ibn Ma'soom al-Madani, Al-Sayyid Ali Sadr al-Din, Anwar al-Rabi' fi Anwa' al-Badi', Tahqiq Shakir Hadi Shakir, Matba'at al-Nu'man, Al-Najaf al-Ashraf, Ṭ.1, 1389H, 1969M.
- Al-Maghribi, Ibn Ya'qub, Mawhib al-Fatah fi Sharh Takhiss al-Miftah, Min Kutub Sharuh al-Takhiss, Al-Juz' al-Rabi', Dar Al-Hadi, Beirut, Ṭ.4, 1412H, 1992M.
- Ibn Mandhoor, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram bin Ali, Lisan al-Arab, Al-Hawashi: Li al-Yaziji wa Jama'ah min al-Lughawiyin, Dar Sader, Beirut, Ṭ.3, 1414H.
- Al-Hashimi, Al-Sayyid Ahmed, Jawahir al-Balaghah fi al-Ma'ani wa al-Bayan wa al-Badi', Dabt wa Tadqiq Yusuf al-Samili, Al-Maktabah al-Asriyyah, Beirut, Ṭ.1, 1999M.
- Al-Diwan:
- Diwan Al-Tuhami, Abi al-Hasan Ali bin Muhammad, Tahqiq Muhammad bin Abdul Rahman al-Rabi', Maktabat al-Aarif, Riyadh, Ṭ.1, 1402H, 1982M.

ALTRALANG Journal
Volume 5 Issue 3 / December 2023

- Diwan Kuthayr 'Izzah: Jama'ahu wa Sharahu Ihsan Abbas, Dar al-Thaqafah, Beirut, ḌṬ, 1391H, 1971M.
- Sharh Diwan al-Mutanabbi: Abdul Rahman al-Barquqi, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 1407H, 1986M.
- Sharh Aqad al-Juman fi al-Ma'ani wa al-Bayan: Jalal al-Din al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr (911H), Tahqiq Ibrahim Muhammad al-Hamdani, and Amin Luqman al-Habbār, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Ṭ.1, 2011M.

سير ذاتية للمؤلفين

الدكتور شعيب يحيى، أستاذ البلاغة العربية في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الدكتور الطاهر مولاي في مدينة سعيدة، دولة الجزائر. حازعلى شهادة ليسانس في تخصص اللغة عام 2000، ومن ثم حصل على شهادة الماجستيرفي تخصص بلاغة وأسلوبية عام 2008، متبوعًا بشهادة الدكتوراه في علوم البلاغة والأسلوبية عام 2016. تحصيل شهادة التأهيل الجامعي في عام 2018.